مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي
Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
Issue N.31–Vol. 2/ ISSN:2958–8537
العدد الواحد والثلاثون (31)، المجلد الثاني
تاريخ 28 – 2 – 2025
(ص558 لـ ص583)

روافد تجربة الشعر عند إبراهيم المؤذن
(ديوان يا هوى عذرًا ونقوش الحزن أنموذجاً)

Sources of Poetic Experience in the Works of Ibrahim Al–Moathen
A Study of the Collections "Ya Hawa 'Udhra" and "Nuqous Al–Huzn" as Models

الدكتور أسامة محمد السيد الشيشيني
Dr. Osama Mohamed El–Sayed El–Sheshiny
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية
drosama_19679 @yahoo.com

الملخص:
يتناول هذا البحث تجربة الشاعر إبراهيم المؤذن من خلال دراسة ديوانيه "يا هوى عذرًا" و"نقوش الحزن"، حيث يسلط الضوء على الروافد التي أسهمت في تشكيل تجربته الشعرية، سواء من حيث الموضوعات أو الأساليب الفنية والتعبيرية. تستعرض الدراسة العوامل المؤثرة في تجربة المؤذن، بما في ذلك المؤثرات الحياتية والثقافية، إضافةً إلى تحليل البنية الجمالية واللغوية لأعماله. يعتمد البحث على المنهج التحليلي الذي يجمع بين الوصف والنقد الأدبي لفهم أبعاد التجربة الشعرية للشاعر. ومن خلال مقارنة ديوانيه، يتضح التطور في أسلوبه الشعري من البعد العاطفي في "يا هوى عذرًا" إلى التنوع في الموضوعات، بما في ذلك القضايا الوطنية والاجتماعية في "نقوش الحزن". يخلص البحث إلى أن شعر إبراهيم المؤذن يعكس تفاعلًا عميقًا بين الذات والمجتمع، مستفيدًا من تقنيات متنوعة في بناء الصورة الشعرية وتوظيف الرمزية والموسيقى الداخلية.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم المؤذن، التجربة الشعرية، التحليل الأدبي ،البنية الجمالية، الموضوعات الشعرية، الروافد الثقافية

Abstract:
This study examines the poetic experience of Ibrahim Al-Moathen through an analytical study of his poetry collections *Ya Hawa 'Udhra* and *Nuqous Al-Huzn*. The research explores the various sources that influenced his poetry, including personal experiences, cultural factors, and literary traditions. By employing an analytical approach that integrates descriptive and literary criticism methods, the study highlights the evolution of Al-Moathen's poetic style from emotional themes in *Ya Hawa 'Udhra* to a broader scope covering national and social issues in *Nuqous Al-Huzn*. The research concludes that Al-Moathen's poetry reflects a deep interaction between self and society, utilizing diverse techniques in imagery, symbolism, and internal musicality.

Keywords: **Ibrahim Al-Moathen**, **poetic experience**, **literary analysis**, **aesthetic structure**, **poetic themes**, **cultural influences**.

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصـلاة والسـلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصـحابه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد،،،،

فمن المتعارف عليه أن الشـــعر له مكانة كبيرة عبر الأزمان؛ فهو يعبر عن الأدباء ويبرز ميزاتهم؛ فالمتنبي – على سـبيل المثال – قد اتسـم شـعره بأنه: «تصـوير للنزاع بين المثل العليا، والحقائق الواقعية، والألم والأمل، واليأس والرجاء، والسخط والرضا، والحب والبغض، وفيه صورة زاهية لثورته النفسية المتشائمة، ودعوته الاجتماعية النظرية الداعية إلى القوة والطموح»[1].

وتناولت تلك الدراسة؛ لأن شاعرنا من الشعراء الذين لم يتم دراستهم في دراسات مستقلة؛ على الرغم من تميز شعره في الموضوعات والبناء الفني.

وتكونت الدراسـة من مقدمة وثلاثة مباحث، تناولت في الأول حياة الشـاعر، وأبرزت في الثاني روافد التجربة في ديوان نقوش الحزن، وأفردت الثالث حول روافد التجربة في ديوان يا هوى عذرا.

وقد اعتمدت في الدراسـة على المنهج التحليلي المتجسـد في الجانب الوصـفي والنفسـي، والله أسـأل أن ينال هذا الجهد المتواضع القبول، والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

---

(1) محمد خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي ص238 (ط1 – الإسكندرية – دار الوفاء – 2004م).

المحور الأول

إبراهيم المؤذن (معالم حياتية)

الشاعر حياته ونشأته[2]

إبراهيم محمد إبراهيم المؤذن، ولد بقرية مركز بركة السبع ـــ محافظة المنوفية عام 1965/3/24م، نال ليسانس آداب وتربية ـــ قسم اللغة الإنجليزية 1989م من جامعة المنوفية، ويعمل مدرسا للغة الإنجليزية بمدارس إدارة بركة السبع التعليمية.

بدأ الكتابة منذ المرحلة الابتدائية؛ حيث كان يغير كلمات الأغاني التي كانت تعجبه من خلال سماعه للإذاعة التي كانت تحتل مكانة بارزة في أسماع وقلوب المصريين في تلك المرحلة المبكرة من عمره، ثم أصبح ينظم شعرًا خاصًّا به يعبر فيه عن نفسه منذ المرحلة الإعدادية، وكان يلقيه في الإذاعة المدرسية، واستمر ذلك في المرحلة الثانوية، وأصبح يراسل الجرائد والمجلات المصرية والعربية، وأخذت قصائده طريقها للنشر على فترات متباعدة، وفي المرحلة الثانوية أصدر مجلة مطبوعة أسماها الرسالة الجديدة مع عدد من أصدقائه الموهوبين الذين كانوا يشاركونه في الإذاعة المدرسية، ورأس تحريرها وكانوا يوزعونها بأنفسهم على المدارس والجامعات مقابل عشرة قروش، وكان اشتراك كل فرد فيها خمسة جنيهات حتى تصدر، واستمرت إلى العام الأول الجامعي حيث تفرق الأصدقاء القائمين عليها.

ومر الشاعر بتجربة من أسوأ تجاربه الحياتية؛ حيث كان من أوائل الثانوية العامة قسم الأدبي والتحق بكلية الإعلام جامعة القاهرة، وأجبر على تركها وتحويل أوراقه إلى كلية التربية بشبين الكوم جامعة المنوفية؛ على الرغم أن كلية الإعلام كانت حلمه الأكبر الذي سوف يحقق كل أحلامه من خلالها، ولكن لأنه وحيد أسرته فقد أجبر على ذلك لعدم مفارقته لهم، وكذلك للتكليف الذي كانت تتميز به كلية التربية عن غيرها من الكليات وهو التعيين بمجرد التخرج، وقد عانى أثناء تلك السنة معاناة نفسية حادة؛ صراع بين الحلم والواقع، حتى أسقط نفسه في السنة الأولى بالجامعة في ثلاث مواد ليسوا مواد تخصص، وتركهم عن عمد حتى يستعيد إرادته، ولكنه بعد الرسوب ندم أشد الندم على تلك السنة الضائعة، فقد كانت همته قد أخمدت وعزيمته خارت؛ لذلك قنع بالواقع وأكمل بكلية التربية قسم إنجليزي بشبين الكوم جامعة المنوفية؛ ولذلك تجد روح الفقد في كل دواوينه.

وأخذ يمارس العمل الثقافي أثناء الجامعة، فكان من شعراء جامعة المنوفية المشهود لهم، والمشارك في كل الفعاليات الثقافية في كل كليات الجامعة في تلك الفترة، وفاز في كثير من المهرجانات الشعرية أو المسابقات الأدبية بالمراكز الأولى والمتقدمة، وأثناء ذلك تعرف على الكثير من الشعراء في مصر والوطن العربي، واتسعت معارفه بكل

(2) حديث مع الشاعر بتاريخ 1-8-2024م.

المجلات الثقافية والأدبية؛ مما أتاح له النشر في معظم الجرائد والمجلات المصرية والعربية مثل: مجلة إبداع، شعر، الكويت، الفيصل، الشاهد، المجلة العربية، مجلة الاتحاد الإماراتية، المساء، الأهرام المسائي، الجمهورية، السياسي المصري، عقيدتي، آفاق عربية، العربي، أخبار الأدب، القاهرة، الثقافة الجديدة وغيرها.

وشارك في العديد من البرامج الإذاعية والتليفزيونية وخاصة إذاعة الشباب إذاعة وسط الدلتا، وكذلك القناة الثقافية، والقناة السادسة.

والشاعر «إبراهيم المؤذن» كتب القصيدة الفصحى والعامية، والأغنية، والقصة، والمسرحية، والدراسات الأدبية والنقدية، وهو الآن يشارك في كل الفعاليات الثقافية، والمؤتمرات الأدبية من خلال رئاسته لنادي أدب بركة السبع، وعضويته للنادي المركزي للأدب بثقافة المنوفية.

والشاعر «إبراهيم المؤذن» قد فاز بجميع جوائز برنامج عصير الكتب الذي كان يقدمه الإعلامي والأديب البارز «بلال فضل»، وقد فاز بجائزة مكتبة الإسكندرية، وجائزة جمال البنا، وجائزة نهضة مصر، وآخرها جائزة المصري اليوم، وهو ما زال يواصل عطاءه الأدبي والإبداعي، ومشاركته الفعالة في الحياة الثقافية المصرية والوطن العربي.

وصدر له حتى الآن خمسة دواوين فصحى وهي:

«يا هوى عذرًا . نقوش الحزن . لانطفائك في دمي رائحة البرتقال . أبجدية وفاء إدريس . قبلة يهوذا».

1. يا هوى عذرًا.	شعر فصحى
2. نقوش الحزن.	شعر فصحى
3. لانطفائك في دمي رائحة البرتقال.	شعر فصحى
4. جسد سما (أبجدية وفاء إدريس).	شعر فصحى
5. قبلة يهوذا.	شعر فصحى
6. راح تشوفي.	ديوان غنائي عامي.
7. الكلمة.	شعر عامي.
8. الموت من أجل الماء أحيانًا.	مسرحية.
9. رمسيس يطوف المدينة.	مسرحية
10. بعض من حصاد عصير الكتب.	

وله عدد من الدراسات الأدبية والكتابات النقدية والمقالات، وله أيضًا عدد من الأبحاث التربوية والدينية.

شارك في العديد من المهرجانات والمؤتمرات الأدبية وقريبًا سيصدر له الجزء الأول من الأعمال الكاملة وستحتوي على الدواوين الفصحى الخمسة السابق ذكرهم.

يعدُّ «إبراهيم المؤذن» من شعراء الثمانينات الذين لم يأخذوا حقهم، سواء على مستوى النشر، أو على مستوى النقد الأدبي؛ حيث الظلم الواقع على أدباء الأقاليم بصفة عامَّة، وإن كان قد فرض شعره في المنتديات،

والمؤتمرات، والأمسيات الشعرية، وكذلك إطلالته بقصائده على القراء من خلال العديد من الصحف، والمجلات المصرية والعربية، من خلال طابع بريد، وبجهد شخصي مرير.

وقد كتب الشاعر القصيدة العمودية، والشعر الحرَّ، وكذلك قصيدة النثر على استحياء؛ لعدم اقتناعه الشخصي بها، ولكنه من باب أنه يستطيع كتابة ذلك اللون، وبجودة عالية أيضًا.

وقد صدر للشاعر خمسة دواوين هم: «يا هوى عذرًا، ونقوش الحزن، ولانطفائك في دمى رائحة البرتقال، وجسد سما (أبجدية وفاء إدريس»)، وقبلة يهوذا»، وقد تأخر نشر قصائده لفترة طويلة، حتى تكون في أيدي القراء في صورة ديوان، حيث كتبت قصائد أول ديوان في الفترة من 1980م إلى 1986م، ولم تظهر في ديوان إلا عام 2005م، وكذلك باقي دواوينه التي لم تنشر في حينها، أو الفترة التي تمثلها، أو أثناء الأحداث التي تدور حولها القصائد، وذلك له أثر سيء في التلقي، على الرغم مما حظيت به تلك القصائد من الإعجاب والتصفيق، من خلال المنتديات واللقاءات الأدبية المباشرة، أو الإذاعية والتليفزيونية[3].

المحور الثاني

روافد تجربة الشاعر في ديوان

(يا هوى عذرًا)

وفي ديوانه الأول: «يا هوى عذرًا» نرى العاطفة الجيَّاشة، والحب العذري الرائع، وصور الحب الرائقة البديعة، التي تعبِّر عن باكورة إحساسه، وفوران وجدانه، فمعظم قصائد الديوان من الشعر العاطفي إن لم تكن كلها، وهي ما بين الشعر العمودي، وشعر التفعيلة (الحرّ)، ونرى الحب في كل صوره ولحظاته الجميلة والتعيسة، من النظرة إلى اللقاء، من البوح والجفاء، من الصدِّ والعطاء، فإذا كان مع محبوبته كان الكون بديعًا ربيعًا، كله غناء، لا ينسى مكان اللقاء، ولا بداية الأماني، حيث في «الظلم والأماني»:

«هنا نبتت أمانينا

وظلَّت تنمو في صمتٍ

وتزهر من أغانينا»[4]

ذلك الحب الصافي الذي ضحكت به الليالي، ومحى الألم، وذاب به الحزن، لا يقتله إلا الظلم:

«هنا نبتت أمانينا

---

(3) انظر: عبد الوهاب عزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ص27 (د.ط – بغداد – مطبعة الجزيرة _ 1936م).

إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص50 (ط دار الوثائق الجامعية للطباعة والنشر، المنوفية، شبين الكوم، البر الشرقي، 2005).

وذاب الحزن من فينا

كما ضحكت ليالينا»

وكذلك:

«ولم نحسب هنا يومًا

سيقتل حبنا فينا

ولكن ظلمك دومًا

وأد أغلى أمانينا»[5].

من المتعارف عليه أن المرأة تعد "روضة أنسنا، ورَيْحَانة قلوبنا أينما تظهر، وروح الحياء، وجمال الوجود أينما تخطر، وجمالها يسبي، ويستحف أجحد الناس قلبًا، وأجمدهم عاطفة"[6]؛ لذا فهو يرى أن ذلك الحب ضوء وورود وصلاة في قصيدة «سر الضوء» فرغم أن الحب والشعر العاطفي هو الذي يسود الديوان، ولكنه ذلك الحب الذي لا ينسى دوره الاجتماعي؛ حيث ينشر الطهر والأمل والعطاء، بل وتزاد به حلاوة الإيمان في «أنا وحبك»:

«وبحبك ازدادت

حلاوة الإيمان

عيناك يا واحتي

فيض من الإيمان

الله أكبر مكتوبة

فوق الرموش

وداخل الجفنين»[7].

وفي قصيدة «أنا وعينيك»:

«ورأيت عيونك يا عمري

فازددت إيمانًا وإيمان»[8].

وفي قصيدة: «ما بيننا»:

السابق نفسه ص50.

(6) د/ أحمد محمد الحوفي: وحي النسيب في شعر شوقي: ص8 (ط1، مطبعة العلوم بالقاهرة، 1934م).

إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص17.

إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص33.

«لو أن ما بيننا

لم ينشر الطهر

في زمن المجون

ما كنت أبكي يا حبيبي

إن كنت يومًا قد تخون»(9).

فهو يبحث عن الحبيبة التي تهوى الصراحة والأمانة والنقاء، وبقلبها حبًّا يجوب الأرض، يعصف بالغروب.

في قصيدة «الحلم والحقيقة»:

«ومضيت ابحث في الدروب

عن طيف عاشقة

تريد الحب في زمن كذوب

تهوى الصراحة

والأمانة والنقاء

تهوى الحفاظ على العهود».

وهي أيضًا:

«وبقلبها حبًّا يجوب الأرض

يعصف بالغروب».

بل **«وبأننا سنمحو من مدينتنا**

كل أسباب الضلال»(10).

فهو قد ظل عمره سجينًا كئيب الليالي، فقد كان عصره يبيح الفسوق، وفؤاده ينادي بالحب النقيّ الأمين، في قصيدة «وقابلت عينيك»:

«فقد ظل قلبي

عمرًا سجين

يقاس حزنًا

---

(9)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص55.

(10)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص57.

كئيب الليالي

أبى يستبين

فقد كان عصرًا

يبيح الفسوق

وقتل القرنفل

والياسمين

وكان فؤادي

ينادي بحب

نقي أمين»[11].

وشعره لم يتجاوز العيون وسحرها، فلم يلجأ إلى أوصاف حسية جسدية، فهو يسمو في ملكوت العيون الرائعة التي تلامس الروح، وتتجاوز الأرضي المادي.

في قصيدة «وقابلت عينيك»:

«وقابلت عينيك خلق الشتاء

صحوًا ووردًا ربيعًا جاء».

وفي قصيدة «أنا وعينيك»:

«ورأيت عيونك يا عمري

قنديلاً يهدي الأكوان

ورأيت عيونك يا عمري

فشعرت بأني إنسان»[12].

وفي قصيدة «وأراك»:

«وأراك

وكأن الدنيا يا عمري

أن ألمح طيف محيَّاك»[13].

---

(11)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص41.

(12)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص41.

(13)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص59.

وهو في حبِّه رغم أنه تعدَّى الخيال في قصيدة «سيأبى الزمان»:

«أحبك حبًّا

تعدى الخيال

ولو شئت أعطيتك مقلتي

أحبك حبًّا

تعدى الخيال

وفي كل شيء ترى قصَّتي

سلي أي شيء بهذا الوجود

سيذكر أنك في مهجتي»(14).

وبالرغم من قسم حبها بالقلب بأنها شيئًا فريدًا في قصيدة «رغم البعاد»:

«وحبك في القلب

يقسم أنك شيئًا فريدًا

بكل الصفات»(15).

فهو لا يركع للحب، ولا يستغني عن كرامته وشموخه، فإذا غدرت به أو خانته قال لها: فلتسقطي من حسابي في قصيدة: «فلتسقطي من حسابي»:

«فلتعرفي من أنا

ولتصمتي أبدًا

ما بين يدي أنا

تلونت مقلك».

ويقول لها أيضًا:

«أنا من أسكنك السما

هل تعرفي وضعك».

إلى أن يقول لها:

---

(14)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص67.

(15)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص48.

«فلتسقطي من حسابي
فلتسقطي كلك
والله لو أنت ماء
وأموت ظمآنًا
والله لن أردك».

إلى أن يقول لها:

«ستكوني بعدي سرابًا
فسينتهي حسنك»[16].

وفي «لن ابكي خلف الخائنين»:

«وبموت حبي
لن يموت الياسمين
ولن يضيع شباب عمري
في بكاء الخائنين»[17].

إلى أن يقول لها في قصيدة «سأنساك»:

«ولست بأول جرح
ولا آخره
ولست الربيع الأخير
وعمري بعدك لا آمنه
سينبت بعدك ألف ربيع
وأملك كل فصول السنة
وينبت في القلب
حب جديد
وفي كل شبر

---

(16)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص22.

(17)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص26.

أرى سوسنه»[18].

والديوان مليء بالصـــور البديعة البســـيطة والمركبة، ولا ريب في أن الصـــورة لها تأثير على المتلقي، وقد اختلف في محتواها؛ ففي الوقت الذى يرى فيه " هنرى جيمس " أن الصـورة الروائية تصـور الحياة، يرى " بيرسـى لوبوك " أن الصـــورة تشـــمل العمل الروائي كلية أو شـــطرا من العمل الروائي، ويشـــير إلى أنه " إذا كان علينا أن نعالج الرواية بوصفها شريحة من شرائح الحياة التي تحيط بنا، فإننا نكيف أنفسنا، ونجعل عناصرها التي تثيرنا بشكل حاد أشياء موضـوعية كالمشـاهد المؤثرة والشـخصـيات الرائعة، إن هذه الأشـياء تتخذ لها شـكلا في ذهن القارىء، وهناك يعاد خلقها وتكوينها حيثما وقعت بصيرة الفكر عليها " [3].

«تتهامس نبضات القلب

وتغرد بأغاني الحب» في «سر الضوء».

وفي «لقاءنا»:

«والطير والأشجار والأزهار

تشدو من رحيق ثغورنا»[19]

وفي «أنا وحبك»:

«دمع الحديقة ثار كالبركان

كل الحديقة تشكو للرحمن».

وفيها أيضًا:

«أنا قبل حبك

كان شيئًا واحدًا

بيتي موطني عنواني

إنه يا حب عمري

جزيرة الأحزان»[20].

---

(18)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص31.

(19)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص63.

(20)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص17.

والديوان ملئ بالحركة، حيث دلالة تلك الكلمات نبتت . تنمو . تملأ . تلف . تمحو . تتوارى . نرقص . نعدو . نصعد . تمشي . تبحث . تهرب . فسترجع . المسير . عادت . تاه . يسري» وغيرها الكثير، ومن المتعارف عليه أن الحركة "تؤثر في فاعلية الدلالة والأثر لدى المتلقى، كما أنها تفرض قانونا للإيقاع يختلف عن الصورة السمعية للشعر، إذ ينتظر من الأولى أن تتجه إلى التنامى المنتظم في الزمان، والمكان..." [21] .

والديوان موسيقاه عالية، فقصائده من الشعر الحر بحركة بسيطة يمكن تحويلها إلى عمودية، وقد وُفِّق الشاعر – أيَّما توفيق – في استخدام المفردات والتراكيب التي عبَّرت عن حالته النفسية والعاطفية، وكذلك برع في استخدام التضاد، حيث يظهر المعنى ويوضِّحه ويؤكده ويزيد من تأثيره، وذلك في معظم الديوان (يقضي ــ يبقى) ــ (الحزن . الضحك) . (حزن . انتشاء) . (حيًّا . مقتولاً) . (اليأس والأمل) . (اللقاء والفراق) . (الوفاء والغدر) . (الفساد والطهر) وغيرها الكثير.

وكذلك استخدم تقنية الحوار في كثير من القصائد، فليس هو الصوت الوحيد المتحدث في الديوان، ففي «قالوا لي عنك»:

«وفي النهاية قالت

أستاذي العزيز

قالوا لي عنك»[22] .

وفي «الأماني والسعر»:

«قالت:

حتى آخر العمر

سأنتظر»[23].

وفي «ماذا أهديك»:

«قل لي ماذا أهديك

هل الأزهار تكفيك»[24].

وكذلك استخدام تقنية السؤال متعدد الدلالة، وإن كان قليل في هذا الديوان، ففي «ماذا أهديك»:

---

(21) محمد خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي صـ238 (ط1 – الإسكندرية – دار الوفاء – 2004م).

(22)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص27.

(23)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص33.

(24)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص44.

«ماذا أهديك

هل الأيام تكفيك

خذي عمري وزيدي في أمانيك»[25].

وفي «الأماني والسعر»:

«على من يا ترى يرسو»[26].

وفي «هل سيبقى الحب فينا»:

«هل سيبقى الحب فينا

أم سيأتي لانتهاء»[27].

وكذلك الكثير من الاستفهام الضمني، وشعر «المؤذن» عبارة عن حوار بين الأنا والآخر، الأنا التي تشكو، التي تئن، التي تثور، التي تعترف، والآخر المذنب المتهم، الذي بيديه مفاتيح السعادة، الآخر الذي هو الدفء والهدف، والدراسة ترى أن الاستفهام " ينقل أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس، ويبث أخفي الخواطر والهواجس؛ باعثا في نفس المتلقي شتى الإيحاءات المتوهجة المتداخلة، فتحس نبض القلوب في نبض الكلمات وحرارة الانفعالات في التعبيرات التي تنتفض حرارة وحياة، وهو أسلوب لا يعتمد المنهج العقلى المجرد، بل يغلب عليه إثارة العواطف وشحن الوجدان بالدرجة الأولى "[28] والأنا في شعر «المؤذن» تكاد تملأ جنبات الديوان، وكلها تجعلنا نتعاطف معه على مدار أغلب صفحات الديوان، وهو في معظم الديوان رغم الشجن الشفيف والحزن المتفجر لا يفقد الأمل ولا الابتسام ولا الثقة بالله، وعنده العلاج، ففي «ويبقى حبنا فينا»:

«إذا يومًا تسامينا

بأشواق بقلبينا

ماذا يحدث

ستشرق شمسنا دومًا

ويبقى حبنا فينا» [29] .

---

(25)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص44.

(26)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص33.

(27)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص4.

(28)صلاح فضل: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته صـ246 (الهيئة العامة للكتاب، 1985).

(29)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص83.

وفي «يبقى الأمل»:

«ورغم العذاب

ورغم السعير

أشم كثيرًا

بقايا عبير

وفي النفس أيضًا

أمل كبير

بأن عذابي

صغير... صغير»[30].

نخلص مما سبق إلى أن الشاعر قد استعان بما يؤثر في المتلقي من خلال الصور والحركة وأداة الاستفهام التي رمز من خلالهم إلى ما يجيش في أعماه ولا ريب في أن والجدير بالذكر أن الرموز تتعدَّد وتتنوّع بقدر ما تساعد الأديب على اختيار ما تميل إليه شخصيته، ويستطيع بها أن يصل إلى ما يريد من أقرب الأبواب، ولهذا يرى بعض النقاد أن لكلِّ شاعر رموزه الخاصة به، وأنه لابد للمبدع أن يحقق رؤيته الخاصة التي قد تتداخل وتتوافق مع معاني الكلمة، وإلا عجز الجمهور عن إدراكها وتفسيرها، وبالتالي يتلاشى تأثير العمل الإبداعي في المجتمع[31].

وتعد تقنية الرمز من بين التقنيات التي يستخدمها الكُتَّاب في أعمالهم الأدبية، ولا ريب في أن العلاقة بين الكاتب والقارئ علاقة وطيدة، فالكاتب لا يكتب لذاته، وإنما ليعبِّر عن ما يجيش في صدره لقارئه، وكان الرمز أداة؛ ليعبِّر بها كاتبنا عن قضاياه، ويجسِّد من خلاله علاقته بالمتلقِّي.

المحور الثالث

روافد تجربة الشاعر في ديوان

(نقوش الحزن)

أما في ديوان «نقوش الحزن» فنجد أن به نقلة نوعية، حيث تضمن الديوان قصائد وطنية وسياسية ودينية واجتماعية إلى جانب القصائد العاطفية، والديوان رغم أنه يسوده الحزن حتى من بداية العنوان الذي هو «نقوش الحزن» وليس حزنًا عاديًّا، أشعار إبراهيم المؤذن هي شعر مقاومة الانكسار أي انكسار الأحزان وهو محاولة للبحث عن نقطة ضياء للوصول إلى ضحكة لإخفاء ما يكابده القلب من أحزان ووسيلته في ذلك الصوت

(30)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص87.

(31) انظر: أحمد أبو زيد: الرمز والأسطورة ص18 (مجلة عالم الفكر – مجلد16 – عدد 3 – 1985م).

الهامس وتشـي أشـعاره باحتراقها بلهيب المشـاعر مختلطة بتعبيراته عما يعانيه من آلام وآمال وطموحات لا ينفك أن يقول عن نفسه معبرًا عن أحزانه التي تعاني من الترحال في قصيدة قلبي والأحزان:

وأحزاني كثيرًا ما تحاورني

تبوح بعشقها نحوي

تقول بأنها تعبت

من الترحال والسهر»[32].

هذا الشـاعر الذي تحاوره الأحزان لا يصـمت أمام هذا الحزن، ورغم أن شـعره يشـي بالتعطش إلى السـعادة، فالحزن في قلبه صار منقوشًا كما الأهرام في بقائها، وأنه يرافقه منذ مولده في قصيدة: نقوش الحزن:

نقوش الحزن في قلبي

كما الأهرام باقية

إلى الأبد

وضحكي يجعل السمار

يعتقدون

أن الحزن لم يدنُ إلى دربي

ووحدك أنت تدرين

بأني أسر آهاتي وأناتي

وأن الحزن يا عمري

رفيقي منذ ميلادي[33]

رغم كل هذا يدعو الآخر للضحك ملء الفضاء ضاربًا بقاعدة التدرج عرض الحائط، معبرًا بذلك عن الفطرة وعن شفافية النفس التي مجرد أن تنسى بمجرد التحول، وكما نعرف أن هناك ما يسمى «عتبات النص» وهي: «العنوان ــ صورة الغلاف ــ الإهداء» نجد أن العنوان «نقوش الحزن» وهو اسم لقصيدة داخل الديوان يشي بأننا إزاء حزن عميق قد نقشـــت آثاره كما الأهرام في البقاء، والنقش مثل الحفر مما يدل على الآثار العميقة لذلك الحزن، والدراسة ترى أن من أهم سمات العنوان أنه؛ " يؤسس لدى المتلقي فواعل سيكولوجية وذهنية، وتأويلات مكتنزة

(32)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص48.

(33)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص72.

بالدلالات الاحتمالية التي قد نجد لها دلائل في العمل الأدبي وقد لا نجد، قد يؤكدها، وقد ينفيها، أو قد يتصارع معها، إن العنوان منجم من الأسئلة بدون إجابات محددة، إنما هي إجابات احتمالية، تتحدد باستيعاب محتوى شكل العمل الأدبي..." (34).

كذلك ما توحي به لوحة الغلاف تلك الفتاة الرقيقة التي تنهمر من عينيها الدموع حافرة لها مجاري في خدودها، ولذلك الذبول والجفاف الذي يحيط بكل شيء حولها سواء الأشجار أو الأزهار لننتقل إلى الإهداء لنجد أنه يهدى هذا الديوان«ضحكة» إلى رفيقه منذ ميلاده وهي «أحزانه» وإلى «الأمل» أبنائه، فنرى أنه رغم عمق الحزن وحفرياته في وجدانه ووجوده وملازمته له منذ ميلاده مُصِرٌّ على الضحك وعلى الأمل، وهذه هي فلسفة الديوان ذلك الذي تعبت كل الأحزان من الترحال، ولم تجد غير قلبه أجمل المدن لتسكن فيه، ففي «قلبي والأحزان» يقول:

وأحزاني كثيرًا ما تحاورني

تبوح بعشقها نحوي

تقول بأنها تعبت

من الترحال والسهر

وإني كنت مرفؤها

وقلبي أجمل المدن(35)

فهي أحزان تعشقه وتحاوره وتسكن فيه، وتلك الأحزان قد عاناها في الحب وفي المجتمع وفي كل شيء، لذلك يدعو صاحبه في قصيدة «بكائية»:

أشك يا صاحبي الجوى

وأفض في ذكر الشجون(36)

إلا أنه سريعًا ما ينصح قلبه وغيره لما عاناه من آلام الانكسار في العشق في قصيدة «لا تعشق» بأن لا يعشق لأنه لا يستطيع النسيان، ولا يقوى على الجراح:

«**ألا يا قلب لا تعشق**

وإلا فلتعش وحدك

---

(34) محمد حسن عبد الحافظ: محتوى الشكل في الرواية المصرية ص295 (مجلة فصول، العدد 59، 2002م).

(35)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص48.

(36)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص55.

أنا يا قلب لا أنسى

ولا أقوى على جرحك»[37].

ومع ذلك يؤكد في كثير من قصائده الأخرى بالديوان تجاوزه وقدرته على النسيان والتحدي والحفاظ على كبريائه وكرامته فلا تهزه أي انكسارات أو غدر، ففي قصيدة: «قلبي نساها» ينادي على طيف أيامها التي توارى عبيرها صارخًا في وجهه لِمَ عدت تحي النار بعد خمودها، ويحمله رسالة لها فيقول:

يا أيها الطيف المكابر

قل لها

قلبي نساها

واستراح لغيرها

ما عدت أذكرها

ولا عين المها

عادت تؤجج

في فؤادي نارها[38]

والدراسة ترى أن تنوُّع الأساليب عند شاعرنا أمرٌ يحسب له، والدراسة ترى أن قيمة الأسلوبية "قيمة لا يمكن تحققها بالكلمة المفردة، أو الوحدات اللغوية البسيطة، وإنما تتجسَّد من خلال الصورة القادرة على خلق الإيحاءات المتعدِّدة، والتغلغل في النفس البشرية متجاوزةً التقرير، والمباشرة، والوصف السطحي إلى الإبداع الحقيقي"[39].

وفي «صدقيني» يؤكد أنها ليست شيئًا في يقينه ولا تساوي حتى الذكرى أو الحنين:

«**صدقيني**

لست شيئًا في يقيني»[40].

وكذلك في قصيدة «لا تظني» يؤكد أن قلبه في يده إن شاء يهواها، وإن شاء يمحوها:

---

(37)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص5.

(38)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص9.

(39) موسى ربابعة: جماليات السلوب والتلقِّي، دراسة تطبيقية: ص17 (مؤسسة حمادة للنشر، الأردن، ط1، 2000م).

(40)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص11.

إن قلبي في يدي

إن شئت أهواك

أو شئت لا لا توجدي[41]

وهو يؤكد رغم نقوش أحزانه أنه قادر على الضـــحك، وأن أيامه تضـــحك ويدعو قلبه أن يفتح بابًا للأفراح في قصيدة «أيامي تضحك»:

أيامي تضحك يا قلبي

فلتفتح بابًا للأفراح

ولتنس الحزن وسطوته

وسنين جراح[42]

كما أنه متأكد من حب حبيبته له، لكن عتابه الوحيد عدم بوحها بذلك الحب الذي يكاد ينفجر من قلبها وعينها في قصيدة «عتابي الوحيد» يقول:

لكن عتبي كله

أن تخنقي حبا

يثور به

فؤادك ينفجر

باحت به عيناك يومًا

رغم آلف الحرس[43]

وكذلك عتاب حبيبته له، حيث أكدت على حبها له، وأن الغدر وهم لا يكون، يجعله يبادر بالاعتذار، حيث لم يتمالك أجفانه حتى في الفرح، وقد ثارت دموعه كالبركان حين فاضـت حبيبته بحب رباني، وقد قتلت بذلك جميع الأحزان في قصيدة «يا قدرًا كنت»، فيقول:

أنا لم أتمالك أجفاني

ودموعي ثارت بركانًا

يا قدرًا جاء يعاتبني

---

(41)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص22.

(42)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص48.

(43)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص37.

فأفاض بحب رباني

وقتلت جميع الأحزان

أنبت ورودًا وورودًا

واخضرت كل الأغصان[44]

يأتي الوقت يصرخ في قصيدة «لقاءنا»:

يأتي الوقت

يصرخ أننا

كنا تجاوزنا المقرر

من صفاء زماننا

والآن حان فراقنا[45].

ويخرج من الإطار العاطفي إلى إطار المقاومة، المقاومة بالفعل وليس بالكلام، ففي «الشعر غير نافع» يقول:

أنا لا أتاجر بالكلام

يا قدس إني لا أنام[46]

ويؤكد أن الشعر لا يفيد بالقهر ولا وسط الدافع، وإنما المجْدي أن تتحول الخلايا إلى إنبات القنابل والمدافع وتلد الصبايا رجالاً تدافع:

ماذا يفيد الشعر

في وسط المدافع

فلتنبت الخلايا

قنابلاً مدافع

ولتنبت الصبايا

رجالاً تدافع[47]

---

(44)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص67.

(45)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص63.

(46)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص25.

(47)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص25.

وهو يؤكد في «حدوتة» لطفلته الصغيرة والتي يستخدم فيها الحوار كأروع ما يكون أن الحل في الاتحاد، فلن يضرب الأسد إلا إذا كان وحيدًا، ولن يأكل الحمل إلا إذا شرد وحيدًا أيضًا وذلك في قصيدة «فلنتحد»:

ساءلت ابنتي

من يضرب الأسد

وحوله إخوته سند

ردت لا أحد

ساءلتها متى يؤكل الحمل

قالت إذا شرد

فلنتحد(48)

ومن الحوار يجعل الطرف المقابل ينطق هو بالمقصود من تلك المحاورة أو ذلك الجدال، وكذلك في «نداء الشهيد» فهو يستخدم مقطع كأنه لازمة للنشيد والأغنية ينادي به على الجميع، ويؤكد فيه أننا عن ثأرنا وعرضنا وأرضنا لن نتخلى فيقول في «نداء الشهيد»:

إني أنادي عليكم

فاليوم عيد

عن ثأرنا عن عرضنا

عن أرضنا لا لا نحيد

ويؤكد على أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة:

لن يتركوا أرضي السليبة

بالسلام وبالسلاح

الأرض لن تأتي سوى

تحت القنابل والسلاح(49)

وذلك لا يتم إلا بتجديد الإيمان، وبناء الصفوف والاتحاد والإعداد وسلاح الله أكبر، والإيمان بمقوله النصر أو الشهادة:

جدِّد إيمانك يا أخي

---

(48)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص81.

(49)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص16.

وابني الصفوف

الله أكبر يا أخي

تجمع ملايين الألوف(50)

ويقول أيضًا:

جدِّد إيمانك يا أخي

حطِّم جنازير الحديد

واظفر بخلد النصر

أو خلد الشهيد(51)

ولا ينسى أن العلم والتقدم هو سبيل الأمة للارتقاء لذلك لا يترك الشباب دون نصيحة بالحث على العلم وبيان فضله ومكانته، وما يصل إليه الإنسان من خلاله، ويظهر على النقيض الجهل ومآله، وذلك في «نصيحة» فيقول:

فاحفظ دروسك

واستذكر وكن علمًا

واترك شذاك لكل من فيها

بالعلم ترقى هادئًا قممًا

بالجهل لا ترقى

أذرعًا فيها(52)

كما نجد في الديوان التناص القرآني والحديث النبوي في كثير من القصائد ومنها «نصيحة»:

اقرأ تعالى الله منزلها

بأول الوحي

كي تدرك معانيها

وفي «فلنتحد» يقول:

---

(50)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص16.

(51)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص16.

(52)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص27.

ولنرى

هل تداعى سائر الجسد

بالسهر والمدد

أم توارى واستبد[53]

وفي قصيدة «عتابي الوحيد» يقول:

فلا أقسم بالهوى

والقلب وما وسق

وهوانا إذا اتسق

ما ضل قلبي ما رأى[54]

والصورة في هذا الديوان أكثر غزارة وتركيبًا وامتدادًا وابتكارًا كالمثال التالي من قصيدة «نقوش الحزن»:

بأني أسر آهاتي وأناتي

وأن الحزن يا عمري

رفيقي منذ ميلادي[55]

وغيرها الكثير في كل الديوان.

والشعر أكثر تكثيفًا وعمقًا، والتوفيق في استخدام المفردات الموحية والمعبرة عن أفكار ومشاعر وأحاسيس الشاعر، وكذلك استخدام الاستفهام والحوار بشكل رائق ورائع ومكثف، حيث نستمع إلى صوت الآخر بوضوح، وكذلك التشكيل اللغوي والبياني والرسم بالكلمات كالألوان في رسم اللوحة المعبرة عن الحالة، سواء حالة الشجن والحزن، أو حالة الفرح والضحك والانتشاء، أو حالة المقاومة والثورة والتمرد، أو حالة النصح والإرشاد.

كذلك استخدم الشاعر في خطابه الشعري أسلوب الاستفهام الاستنكاري، وهذا الأسلوب يحرك لدى القارئ عمق اللحظة، والاستفهام موجود بصيغ متعددة في كثير من القصائد منها: «قلبي نساها ــ عيناك كانت لا تخون . الشعر غير نافع ـ فلنتحد ـ نداء الشهيد ـ لماذا ـ لو ـ من أنت؟ ـ نقوش الحزن ـ عتابي الوحيد ـ يا قدر كنت»، وكذلك استخدام أسلوب النداء في جمل قصيرة أضافت حركة وحيوية لأشعاره ففي قصيدة «نداء الشهيد»:

«هيا أفيقوا تقدموا

---

(53)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص27.

(54)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص37.

(55)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص72.

والأرض هيا فطهروا

هيا أفيقوا ودمروا

هذا العدو الغاشم ».

وفي قصيدة «الشعر غير نافع»:

يا أيها الوطن السليب

يا نبض قلبي والوحيب(56)

وغيرها، واستخدام تقنية التضاد والمقابلة، وبضدها تتميز الأشياء، وذلك واضح في كل القصائد، وكذلك الحركة «هيا ـ نهاجر ـ تقدموا ـ أفيقوا ـ نلاقي ـ يباعد ـ طاف ـ أرجاء المدن ـ ربوع» وغيرها، ونجد كل ألوان الموسيقى، ونجد حتى الكلمات الموحية للأنغام والموسيقى «نغني ـ نشدوا ـ تسمعنا ـ تحفظ ـ تبهج ـ عنيت ـ أستقي فني».

وكذلك الاستخدام غير الصريح للألوان «اللون الأخضر في الشجر ـ اللون الأسود في الليل والظلام ـ اللون الأبيض في النهار والشروق والنقاء ــ واللون الأصفر في الخريف والجفاف ــ الرمادي في الشتاء والغيوم والهموم» إلى جانب الألوان المعنوية حيث يقول: «ضـــاعت كل ألوان الهموم»، والديوان رغم ما يحتويه من شـــجن وحزن يبث الفرح والأمل والقوة وعدم اليأس، وأن الشـــروق قادم لا محالة، وأن الانتصـــار قادم لا محالة ســـواء في الحالة العاطفية أو الحالة الســـياســـية والقومية العربية، فبالأمل تصـــنع الأمجاد، وتعاش الحياة، وتزهر وتزدهر وتخضـــر الأشـــجار، وتزهر الأزهار، ويطلع بعد الليل النهار، مثل قصيدة «شوقي إليك»:

وبين يديك

أصوغ الأغاني

وأنثر عطر

الصفا لزماني

فيبقى من الحزن

اسمًا يعاني(57)

وكما في قصيدة «أيامي تضحك»:

أيامي تضحك يا قلبي

---

(56)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص16.

(57)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص33.

فلتفتح بابًا للأفراح إلى أن يقول:

فحبيبة عمري

بسمتها شمس

لا تعرف في يوم

معنىً لرواح(58)

وفي قصيدة «يا قدرًا كنت»:

يا قدرًا جاء يعاتبني

فأفاض بحب رباني

وقتلت جميع الأحزان(59).

نخلص من هذا المحور إلى أن الشاعر قد استعان بالصور التي لها دلالة ووظيفة فنية في إبداعه الشعري؛ ولا ريب في أن الصورة تتميز "بصيغتها التشكيلية وتبعد وظائفها، وكثرة علاقاتها مما يجعلها من أقدر الوسائل على تقديم الرؤية الشخصية، والمزاج المتفرد للكاتب، وعندئذ يصبح دورها حاسمًا في تحديد الأسلوب"(60)

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم عليّ بفضله فأتممت هذه الدراسة، التي أظهرت لنا الكثير عن شاعرنا، فوجدنا أن كل ما أنشده الشاعر كان تصويرًا كاملاً لحقيقة أمره، وقد جسد لنا ذلك بصوره الماتعة، وخياله الخصب، وهذا ما يدل على تمكن شاعرنا من فنه.

وبرز لدينا أن شعر شاعرنا كان ترجمة أمينة لكل مشاعره، كما كان انعكاسًا لثقافته ومعارفه المتباينة، وكذلك أضحى مجسّدًا لطموحه، وآماله، وصفاته، وسجاياه.

اعتمد الشاعر على الأساليب المعبرة عن النفسيات والصراعات الداخلية للشخصيات.

لامست النصوص المختارة في الدراسة آلام الإنسان ومعاناته، كما قد نجح في الربط بين العنوان ولوحة الغلاف وبين المضمون الكلى لإبداعه حيث ظهرت العلاقة الوطيدة بينهما.

الاستخدام الجيِّد للغة، فقد اختار الشاعر اللغة بعناية شديدة؛ للتعبير عن حالته النفسية.

---

(58)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص48.

(59)إبراهيم المؤذن: الأعمال الكاملة ص67.

(60) فضل، صلاح: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته ص246 (الهيئة العامة للكتاب، 1985).

قدرة الشاعر في السيطرة على عباراته، وترويضها لترسيخ الفكرة المنوط تجسيدها للمتلقي؛ فجاءت هذه الألفاظ متناسقة مع دفقاتها العاطفية، وعلاقاتها اللغوية، وقد اعتمد الشاعر في رصده لشعره على اللغة الشعرية، المليئة بالدلالات والصور الفنية؛ كي يؤثر إلى المتلقِّي، فيعرف تجربته، ويشاركه في وجدانه.

وبعد فالله أسأل أن أكون موفَّقًا فيما كتبت، وأن ينال هذا العمل المتواضع القبول.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصـادر والمراجـع

إبراهيم المؤذن: يا هوى عذرا، الأعمال الكاملة (ط دار الوثائق الجامعية للطباعة والنشـر، المنوفية، شـبين الكوم، البر الشرقي، 2005).

إبراهيم المؤذن: نقوش الحزن، الأعمال الكاملة (ط دار الوثائق الجامعية للطباعة والنشـر، المنوفية، شـبين الكوم، البر الشرقي، 2005).

د/ أحمد محمد الحوفي: وحي النسيب في شعر شوقي: صـ8 (ط1، مطبعة العلوم بالقاهرة، 1934م).

صلاح فضل: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته صـ246 (الهيئة العامة للكتاب، 1985).

عبد الوهاب عزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام صـ27 (د.ط – بغداد – مطبعة الجزيرة _ 1936م).

محمد حسن عبد الحافظ: محتوى الشكل في الرواية المصرية صـ295 (مجلة فصول، العدد 59، 2002م).

محمد خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي صـ238 (ط1 – الإسكندرية – دار الوفاء – 2004م).

موسى ربايعة: جماليات السـلوب والتلقِّي، دراسـة تطبيقية: صـــــ17 (مؤسـسـة حمادة للنشـر، الأردن، ط1، 2000م).